* المحاضرة 03 *

مناهج البحث العلمي في علم الاجتماع الرياضي

تمهيد:

لا يوجد تصنيف موحد عام بين الباحثين حول مناهج وأساليب البحث العلمي فبعضهم يأخذ المناهج الرئيسية فقط وآخرون يعتبرون المناهج الفرعية مناهج رئيسية، وأن كان هناك شبه إجماع على كثير من هذه الأنواع وإن اختلفت في تصنيفها، ومن أهم المناهج التي يستعين بها الباحث في رؤية الواقع الاجتماعي ودراسته من عدة نواحي فهناك مناهج للبحث يستخدمها علماء الاجتماع ويتوقف استخدامها من طرف الباحث مراعيا طبيعة البحث، والإمكانات المتوفرة، ودرجة الدقة المطلوبة، وأغراض البحث،ولعل من أكثر الطرق المنهجية شيوعاً في الدراسات الاجتماعية، المنهج التاريخي و والمنهج المقارن، والمنهج التجريبي، والمنهج الوصفي، مما قد تقتصر في النتائج على الوصف أو تتعدى ذلك إلى التحليل والتفسير وقد لا يكتفي الباحث بأحد هذه المناهج، بل يتعدى إلى المزج بينها للوصول ألى نتائج أفضل وأكثر دقة وسنعطي فيما يلي نبذة مختصرة عن هاته المناهج المستعملة من طرف الباحثين.

1- المنهج التاريخي: يستخدم علماء الاجتماع المنهج التاريخي، عند دراستهم للتغير الذي يطرأ على شبكة العلاقات الاجتماعية، وتطور النظم الاجتماعية، والتحول في المفاهيم والقيم الاجتماعية. وعند دراستهم لأصول الثقافات، وتطورها،وانتشارها، وعند عقد المقارنات المختلفة بين الثقافات والنظم، بل إن معرفة تاريخ المجتمع ضرورية لفهم واقعه. وقد صاحب المنهج التاريخي نشأة علم الاجتماع، وقد كان في البداية تطورياً يميل إلى وضع المراحل التطورية المختلفة للمجتمعات الإنسانية، كما هو عند العالمين كونت وسبنسر. ولكن النزعة التطورية بدأت تتلاشى،نظراً لعدم موضوعيتها وتعد الوثائق سواءً كانت وثائق شخصية، أم رسمية أو عامة، فهي من أهم مصادر المعرفة الاجتماعية، كالتاريخ الاقتصادي، والسياسي، والديني، والتربوي، والسكاني وغيرها، ومثل ذلك الدراسات الوصفية المتكاملة لمجتمع ما في فترة تاريخية معينة، حيث تحتوي هذه الدراسات عادة على معلومات قيمة تفيد عند التحليل.

2- المنهج الوصفي : يعد المنهج الوصف من أكثر مناهج البحث الاجتماعي ملائمة للواقع الاجتماعي وخصائصه. وهو الخطوة الأولى نحو تحقيق الفهم الصحيح لهذا الواقع. إذ من خلاله نتمكن من الإحاطة بكل أبعاد هذا الواقع، محددة على خريطة، تصف وتصور بكل دقة كافة ظواهره وسماته

". وقد واكب المنهج الوصفي نشأة علم الاجتماع،وقد ارتبطت نشأته بحركة المسح الاجتماعي في إنجلترا أو منهج لوبلاي في دراسة الحالة، ونشأة الدراسات الأنثروبولوجية بتأسيس فكرة شاملة التي يقوم عليها المنهج الوصفي هي: أن المشكلة التي واجهت الدراسة العلمية للظواهر الاجتماعية هي عدم وجود منهج علمي حقيقي يصلح لتحليل هاته الظواهر المعقدة . فلم تكن الملاحظة خاضعة لقواعد تنظمها، بحيث نعرف بدقة كيفية الملاحظة، وأهمية الظواهر التي تُلاحظ، وأكثرها دلالة. ولذلك فإن المنهج الوصفي يعمل على توضيح الشوائب و الزوايا الخفية التي لا توضحها طريقة الملاحظة،فالمنهج الوصفي يعتمد على خطوات أساسية يمر بها الباحث نذكرها كالتالي هي:

1- اختيار الوحدة الاجتماعية الأولية والأساس في الموضوع المدروس.

2- اكتشاف الطريقة الملائمة للقياس الكمي لمختلف عناصر مكونات وحدة الدراسة.

3- فحص العوامل المختلفة المؤثرة في تنظيم الظاهرة المدروسة .

فمن الواضح البحوث الوصفية تتم على مرحلتين، مرحلة الاستكشاف والصياغة و مرحلة التشخيص والوصف المتعمق. وهما مرحلتان مرتبطتان ببعضهما، ويعد المسح الاجتماعي ودراسة الحالة، والبحوث السكانية التي تصف المواليد،والوفيات، وتحركات السكان، وتوزيعهم، بحوث وصفية تمثل المنهج الوصفي،ويوفر المنهج الوصفي كثيراً من البيانات والمعلومات التي تزيد المعرفة بالظواهر والإحاطة بخصائصها و أنواعها وأشكال تطورها وتنمي البصيرة بالواقع الاجتماعي بكل أبعاده المتعددة و المختلفة.

3- المنهج التجريبي : التجريب جزء من المنهج العلمي. فالعلم يسعى إلى صياغة النظريات التي تختبر الفروض التي تتألف منها، وتتحقق من مدى صحتها.. والتجربة ببساطة: هي الطريقة التي تختبر بها صحة الفرض العلمي فالتجريب هو القدرة على توفير كافة الظروف التي من شأنها أن تجعل ظاهرة معينة ممكنة الحدوث في الإطار الذي رسمه الباحث وحدده بنفسه. والتجريب يبدأ بتساؤل يوجهه الباحث لتوضيح معالم و أهداف البحث أو الدراسة مثل: هل يرتبط ارتفاع المستوى الاقتصادي للفرد بإقباله على التعليم؟ أو هل هناك علاقة بين الدين والسلوك الاقتصادي؟. أو بين التنشئة الاجتماعية وانحراف الأحداث؟ ومن الواضح أن الإجابة على هذه التساؤلات، تقتضي إتباع أسلوب منظم لجمع البراهين والأدلة و المعطيات . والتحكم في مختلف العوامل التي يمكن أن تؤثر في الظاهرة وموضوع البحث، والوصول إلى إدراك للعلاقات بين الأسباب والنتائج .

ويعتمد تصميم البحث التجريبي على عدة خطوات، هي تحديد المشكلة، وصياغة الفروض التي تمس المشكلة، ثم تحديد المتغير المستقل، والمتغير التابع، ثم كيفية قياس المتغير التابع، وتحديد الشروط الضرورية للضبط والتحكم، والوسائل المتبعة في إجراء التجربة. ومع صعوبة تطبيق هذا المنهج في العلوم الاجتماعية، إلا أنه طبق فيها، واستطاع أن يغزو العلوم الاجتماعية، تحت تأثير النجاح الذي حققه في العلوم الطبيعية.

4- المنهج المقارن :يمكن القول بأن المنهج المقارن، يطبق في علم الاجتماع بكافة فروعه ومجالات دراسته، ذلك أن أي بحث في علم الاجتماع لا يخلو من الحاجة إلى عقد مقارنة ما. وقد استعان به أغلب علماء الاجتماع قديماً وحديثاً، ويمكن ذكر المجالات الرئيسة في علم الاجتماع، التي يمكن أن تخضع للبحث المقارن فيما يلي:

1- دراسة أوجه **الشبه والاختلاف، بين الأنماط الرئيسة للسلوك الاجتماعي.**

2- دراسة نمو وتطور أنماط الشخصية، والاتجاهات النفسية والاجتماعية في مجتمعات، وثقافات متعددة، مثل بحوث الثقافة، الشخصية، دراسات الطابع القومي.

3- دراسة النماذج المختلفة من التنظيمات، كالتنظيمات السياسية والصناعية.

4- دراسة النظم الاجتماعية في مجتمعات مختلفة، كدراسة معايير الزواج والأسرة والقرابة، أو دراسة المعتقدات الدينية، وكذلك دراسة العمليات والتطورات التي تطرأ على النظم الاجتماعية مثل التحضر.

5- تحليل مجتمعات كلية و متعددة و عادة ما تتم المقارنة بين المجتمعات وفقاً للنمط الرئيس السائد لهاته النظم.